



الثلاثاء 20 أغسطس 2019 11:09 م
كتب: عامر شماخ

سأنى الجدول غير المنمر بين أشقاء (رابعة) على مواقع التواصل الاجتماعى، فى ذكرى مرور ست سنوات على المذبحة؛ فهناك طرف يتصرف بعفوية مع المناسبة، يجتث الأحرار ويكى لفقد الأحبة، ويصف مشاهد الترويع التي ارتكبتها الجناة ضد إخوانهم الأطهار. والطرف الآخر يعيب عليه هذه (الملطمة!) أو (البكائية!) -كما أسموها؛ مؤكداً أن هذا لا يفيد القضية، بل يضعفها، بعدما تتحول إلى (إدمان للمظلومية!) ينتج عنه بقاؤنا فى دور (المفعول به) وهو راضٍ سعيد.

والطرفان -فى نظرى- يستحقان النصح، خصوصاً الطرف الثانى الراض للبقاء واجترار الأحرار؛ فإنه هو من خلق الجدول، وأوغر الصدور، والأمر أبسط من أن نخلق حوله جدلاً؛ بل الواجب أن نتعاون فيما اتفقنا عليه، وبعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، وأن يمسك كلانا بخناق القاتل؛ كلٌ على شاكلته، لا أن نطلق قذائفنا (الفيسيوكية) على أحبة لنا انكروا بنار الغدر وسالت دماء ذويهم وهم عاجزون عن القصص والتأثر.

والبقاء -كما هو معلوم- ليس منهياً عنه لأصحاب الدماء ذوى القلوب الموحجة؛ فإن النبى -صلى الله عليه وسلم- لما رجع من أحد جعلت نساء الأنصار يبكين على من قُتل من أزواجهن، فقال -صلى الله عليه وسلم-: (ولكن حمزة لا بواكى له)، فبلغ ذلك نساء الأنصار، فبكين لحمزة. وإذا كان الطرف الذى ينهى عن البكاء يعتبر الحديث عن القضية والتذكير بها بوسائل التذكير المختلفة (ملطمة) فقد أخطأ ثانياً؛ فإن القضايا تموت بعدم التذكير بها، وينساها الناس إن غفل عنها أصحابها، ولا يفيد ذلك إلا الخصوم. بل إن الحرب الآن إعلامية، الراجح فيها من يغزو الأجهزة الذكية للآخرين ويقنعهم برأيه ويكسب تعاطفهم مع قضيتهم، وقضيتنا رابعة -لا شك فى ذلك- غير أنها بحاجة إلى من ينقلها إلى هؤلاء نقلاً يليق بقدرها، ولا أرى مانعاً أن تُستخدم العواطف فى هذا النقل، وأبحاث الإعلام متفقة على أن معظم القضايا التى حازت على اهتمام المتلقين كانت بسبب عاطفية الرسالة الموجهة إليهم.

إنه بعد نحو ثمانين سنة من محرقة اليهود على يد النازى الألمانى بدءاً من عام (1941 حتى 1945م) -والتي اخْتُلِف فى تقديراتها- استطاع ذوو الضحايا صنع هالة مقدسة حول القضية، ولا ينكر أحد أن كثيراً من المكاسب العظيمة التى جناها اليهود فيما بعد كانت بسبب دأبهم فى العويل على ضحاياهم، حتى كسبوا تعاطف الأفراد والدول، وحتى سُتت قوانين أممية تعاقب من يشكك فى (الهولوكست) أو يتنمر لـ(السامية). إننا بحاجة إلى كسب مزيد من المتعاطفين، بتوصيل الحقائق إليهم، وتفنيد شائعات وأكاذيب المجرمين، وسوق الأدلة على أن القضية إنسانية فى المقام الأول، ليست إخوانية، وليست إسلامية، والواقع يؤكد ذلك؛ فإن الدماء التى سالت دماء مصرية، تشمل الإسلامى كما تشمل غيره. أما الظهور بمظهر المظلوم فلا عيب فيه؛ فإن صاحب الحق لا يستحى من تبين حقه، وسرد مظلومته، بل الاستطراد فيها، ولنا فى جعفر -رضى الله عنه- المثل؛ إذ استطاع إقناع النجاشى بعدالة قضيتهم بكلمات لا تخلو من مخاطبة إنسانيته؛ فأنجاز إليه الرجل، ولم يأبه لأصدقائه العرب الذين أرادوا استلام عم النبى وإخوانه الفارّين إلى الحبشة، وقد رشوه وقدموا له الهدايا التى يحبها فردا إليهم.

وللطرف الأول الباكى أقول: ليس من الإنصاف أن يظل الباكى فى بكائه دون عمل؛ لأن هذا يقود إلى اليأس، واليأس ليس من شيم المؤمنين، بل شيمتهم الصبر الجميل، والسلوى عن الأحرار، والعمل الدعوى، ثم النظر إلى السماء رجاء العون والتوفيق. لا خلاف على أن هناك تقصيراً ليس بسيطاً نحو القضية، ليس من جانب طرف بعينه، بل من كل أحرار العالم؛ فإلى الآن لم يقدم متهم واحد للعدالة، وهم كثر، والأدلة ثابتة على جرائمهم، كما لم تنجح فى عرض القضية بشكل أفضل؛ ربما لعدم التنسيق، أو للبخل فى الصرف عليها، ولو أننا عالجتنا هذا التقصير لأزيل الخلاف الواقع الآن ولحدث تقدم على المستوى السياسى، الإقليمى والمحلى.

ليجتمع الكلُّ على كلمة سواء؛ إذ لا خلاف على القاتل، فلنكن سهام الجميع موجهة إليه، وإلا فإن التنازع يُورث الفشل ويذهب الريح، أما الوحدة واجتماع الكلمة فيورثان الصبر وطول النفس واحتمال الصعاب، وكأنى بالمسلمين بعد أحد وقد تعددت عليهم مشاهد البلوى وعمتهم المصيبة؛ فتأتى (آل عمران) لتزيل آثار العدوان، وتمحو عواقب الهزيمة، وتدين الآسين على ما وقع (وَكَايِنٌ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) [آل عمران: 146].

إن أصحاب المبادئ يفنون أعمارهم فى سبيلها، وقد يموتون دون أن يروا أثراً لغراسهم، دون يأس أو قنوط، وذلك ما جرى لساداتنا الأنبياء والمرسلين: (قَاضِيٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي تَعِدُّهُمْ أَوْ تَتَوَفَّيْنَاكَ فَأَلَيْتِنَا يُرَجَّعُونَ) [غافر: 77]. لما أشيع أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قُتل يوم أحد، رأى أس بن النضر عمر -رضى الله عنه- ومعه رهط فقال لهم: ما يقعدكم؟ قالوا قُتل رسول الله، قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم جال بسيفه حتى قُتل.

البكاء وحده لا يصلح لنصرة القضية، والتهيج أيضًا لا يصلح؛ فوق أنه يلد الخلاف ويثير الجدل، إنما تنفع الشورى ووحدة الهدف، والثقة والإخلاص والتجرد، وتوسيع دائرة المتعاطفين؛ بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نكون ألحن بحجتنا من القنلة المجرمين.. ألسنا على الحق وهم على الباطل؟!

<https://ikhwanonline.net/article/236363>